السَّلَف والخَلَف

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة لما سبق)

في مقالة اولى بيَّنَّا ما يجري من الحفلات بعد وفاة الاحبار الرومانيين الى ان تتمَّ التساعيَّة المقامة لراحة نفسهِ الطاهرة. فبقي علينا في هذه النبذه الثانية ان نصف العادات المألوفة في الكنيسة الرومانيَّة عند انتخاب خلفٍ للبابا المتوفَّى

واعلم ان هذه العادات قد اختلفت في كرور الاعصار اختلافاً عظيماً لانَّ السيِّد المسيح عهد بامور كثيرة الى كنيستهِ تتصرَّف بها على مقتضى الاحوال. والمرجَّح بين العلماء انَّ القديس بطرس قبل استشهادهِ عيَّن ثلاثة من تلامذتهِ يخلفونهُ في كرسيِّهِ بعد موتهِ على نظامٍ معلوم وهم لينوس وكليتوس واقليميس واسماؤهم مثبتة على هذا الترتيب في ليتورجيَّة الكنيسة الرومانيَّة وفي اقدم جداول الاحبار العظماء فضلاً عن تقليد يرتقي الى القديس ايريناوس والى المعلِّم ترتوليانوس في القرن الثاني للميلاد

الَّا انَّ هذا النوع من الانتخاب قد خُصَّ بهِ الحواريُّون دون خلفائهم لقلَّة عدد النصارى في اوَّل الكنيسة قبل انتظام الرتب الكنسيَّة (١. ولكن لم تلبث بيعة الله ان نمت بعد قليل وتوفَّر عدد رجال الدين واتَّسق نظامهم فصار اليهم انتخاب اسقفهم بالاتفاق مع الاساقفة المجاورين. وكان يحقّ لجمهور المؤمنين في اقطار عديدة ان يضيفوا اصواتهم الى اصوات الاكليروس فيشهدوا بالاهليَّة للمرشَّحين كما يُذكر في اعمال الرسل (٦ : ٢ — ٦) عن انتخاب الشمامسة. وقد الفت الكنيسة الرومانيَّة هذه العادة فانتخب رؤساءها اهلُ الدين والشعب معاً وفي المثل الجاري « صوت الشعب صوت الله » اشارةٌ الى تداخل الشعب في هذه الانتخابات. على انَّ المؤمنين بعد مدَّة بلغوا عدداً وافراً فكان ينوب عنهم في اختيار الاساقفة عموماً والاحبار الرومانيين خصوصاً وجوهُ القوم واعيان المدينة لاسيَّما عُمَّال الملوك النصارى من الروم والقوط وغيرهم

---

١) وقد جرى على ذلك بعض الاساقفة ردحاً من الدهر فعيَّنوا خلفاءهم من بعدهم الى ان أبطلت القوانين البيعيَّة هذه العادة فخصَّ منها بالذكر القانون الثالث والعشرين من مجمع انطاكية سنة ٣٤١

ألا انَّ الاهواء الفاسدة وكثرة الاحزاب وتغلُّب المطامع الشخصيَّة عرَّضت انتخاب الاحبار الرومانيين الى مخاطر عديدة لعدم اتّفاق المندوبين لهذه المهمَّة فربَّما كان يبقى الكرسيّ فارغًا او يجلس عليهِ من ليس هو اهلًا بهِ

وتفاقم الشرّ بعد ذلك لمَّا منح الباباوات لبعض الملوك وخلفائهم من بعدهم ان يشاركوا ارباب الدين في تنصيب راعي الكنيسة الاعظم. فانَّ بعضًا منهم حاولوا بذلك استعباد الكنيسة وضبط زمام تدبيرها حتى قام في القرن الحادي عشر القديسان لاون التاسع وغريغوريوس السابع فحرَّرا الكنيسة من ربق العوامّ واختصَّا الكرادلة بانتخاب اسقف رومية. وكان اسم الكردينال ومعناهُ القطب يُطلَق على كبار المنصَّبين في الكنيسة الرومانيَّة. وفي الزمن عينهِ اصدر البابا نقولا الثاني قرارًا في ذلك اثبتهُ المجمع الروماني المنعقد سنة ١٠٥٩

على انَّ هذا المشروع الجليل لاقى مدَّة نحو مئتي سنة من العوائق والمناصبات ما يطول شرحهُ. وممَّن ذبُّوا عن حقوق الكرسيّ الرسوليّ وساعدوا على ابعاد العوامّ من انتخاب الباباوات اسكندر الثالث في براءةٍ صادق عليها آباء المجمع اللاتراني الثالث سنة ١١٨٠. وفي هذا المنشور يقضي الحبر الاعظم بان حقّ انتخاب رؤساء الكرسيّ البطرسيّ للكرادلة وحدهم من اي رتبةٍ كانوا وأنهم في الكنيسة بمثابة الامراء في الدول ينصّبهم الحبر الاعظم ويختارهم من كلّ البلاد الكاثوليكيَّة حتى اذا خلا الكرسي الروماني اجتمعوا وعيَّنوا واحدًا منهم او من سواهم لرئاسة الكنيسة. واذا لم تتفق الاصوات كانت البابويَّة للذي يجمع ثلثي الاصوات. وكان عدد الكرادلة في اوَّل الامر بين عشرة وعشرين الى القرن الخامس عشر ثمَّ زيد في عددهم في عهد لاون العاشر وخلفائهِ حتى قرَّر سكستوس الخامس سنة ١٥٨٥ بان يكون عددهم سبعين كردينالًا ذِكرًا للسبعين شيخًا الذين افرزهم موسى للقضاء في بني اسرائيل

ثم قام الاحبار الرومانيُّون بعد اسكندرَ الثالث فلم يزالوا يثبتون براءتهُ في انتخاب الباباوات ويصلحون ما يجدون فيها من الخلل ويفصِّلون التفاصيل المدقَّقة لئلَّا يبقى في الامر شبهة ولا ريب. وقد انشأ غريغوريوس الخامس عشر قرارًا يحتوي سبعة وعشرين بندًا بخصوص انتخاب الحبر الروماني ضمَّنهُ خلاصة احكام سلفائهِ وزاد عليهِ ما رآهُ ملائمًا لهذه الغاية وجعل احكامهُ كدستور دائم يُرجَع اليهِ في تنصيب

رئيس الكنيسة. ومنهُ نقتبس الفوائد الآتية التي ندوّنها في هذه النبذة مع ذكر القرارات التي ابرزها الاحبار الرومانيُّون منذ اذٍ حتى يومنا

يُدعى اجتماع الكرادلة للتفاوض في امر الرئاسة البابويَّة المجلس المُقفل (conclave) لانَّ المنتخبين يعقدون جلساتهم في مكان مُقفل لا يدخلهُ غيرهم

وحقُّ هذا الاجتماع ان يبتدئ اليوم الثالث عشر بعد وفاة البابا الَّا ان بيوس التاسع قبل وفاتهِ رخَّص للكرادلة في ان يقصّروا هذه المدَّة اذا رأوا داعياً للامر فاقتصروا منها يومين وذلك ان جثَّة البابا لم تُعرض في المعبد السكستيّ بل نُقلت توًّا الى كنيسة مار بطرس خوفاً من ازدحام الشعب داخل قصر الواتيكان لئلَّا يحصل من ذلك مشاغب تقضي بتداخل رجال الدولة الايطاليَّة حفظاً للنظام. وبوشرت تساعيَّة الجنَّازات لراحة نفسهِ في اليوم الثاني بعد الوفاة بدلًا من الثالث. وهكذا جرى مؤخرًا عند وفاة لاون الثالث عشر فان دخول الكرادلة في المجمع ابتدأ في اليوم الحادي عشر من وفاة البابا اعني في ٣١ تموز

امَّا مكان الاجتماع فليس بمقرَّر. فاذا مات البابا خارجاً عن رومية امكن الحكمدار مع متقدّمي الكرادلة ان يعقدوا المجمع في مكان وفاة البابا ان وجدوا المكان موافقاً لذلك او يعيّنوا لاجتماعهم مقاماً آخر مجاورًا لهُ. وذلك جائز ايضاً ان تهدَّد الكرادلة خطرٌ ما يمنعهم من القيام بمهمتهم او يفقدهم ملء حرّيتهم بشرط ان يصادق اكثر الكرادلة على نقل المجمع من رومية. وقد حدَّد بيوس التاسع شروط الانتخاب خارجاً عن رومية في ثلاث براءات اصدرها قبل وفاتهِ بزمن قليل اخصُّها براءتهُ التي بدؤها « Consulturi » وتاريخها في ١٠ تشرين الاول سنة ١٨٧٧

امَّا اذا صار الانتخاب في رومية نفسها كمألوف العادة فيكون اجتماع الكرادلة في قصر الواتيكان في المعبد السكستيّ (١ وتُهيَّأ القاعات والنوادي التي حولهُ بحيث تصلح لسكنى الكرادلة طول ايَّام اجتماعهم الى يوم انتخاب الحبر الجديد. وتُجعل هذه القاعات الكبرى حُجَرًا صغيرة تفصل بينها حواجز خشبيَّة فيُعطى منها كلُّ كردينال

١) وكان الكرادلة يجتمعون قبل وفاة بيوس التاسع في قصر الكويرينال وقد انتخبوا هناك اربعة باباوات وهم لاون الثاني عشر وبيوس الثامن وغريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع

اربع حُجرٍ الواحدة لمنامهِ والاخرى لشغلهِ وحجرتان لخادمهِ وكاتب اسرارهِ. وهذه الحجر تُعطى بالقرعة. ويدخل مع الكرادلة في مجلسهم المُقفل كاتب اسرار المجمع وكاهن مأذون لحلّ الخطايا مع اصحاب التشريفات وعدد معلوم من العُمّال كطبيب وجرّاح ومزيّنين وقين وبنّاء وغيرهم من متولّي بعض الخدم المادّيّة الّا انّ هؤلاء كلّهم يختارهم الكرادلة في الجلسات التي تُعقد بعد وفاة البابا بعد الفحص عن اهليّتهم. وكذلك لا يُقبل احد من خدم الكرادلة وكتبة اسرارهم الّا بعد مصادقة الجميع على حُسن سلوكهم وحيادتهم عن الدسائس واذا دخلوا معهم مكان المجمع لا يجوز لهم الخروج مطلقًا الّا لواقع يحكم بصوابهِ آباء المجمع وكذلك الكرادلة فانّهم يقعون تحت الحرم والعقابات الكنسيّة اذا خرجوا دون رخصة الآباء وتفاوضوا سرًّا مع الغرباء او كاتبوهم ويلزمهم ذلك الى يوم يتمّ الانتخاب. واذا استوجبوا الحرم لا يحلّهم منهُ احد الّا البابا وحدهُ بعد انتخابهِ

*

واذا حان وقت الاجتماع والدخول في المكان المقفل المعدّ للجلسات التأم كلُّ الكرادلة دون انتظار من تأخر منهم عن الحضور لسبب بُعدهِ عن رومية او المدينة المعيّنة بدلًا منها فان كانوا في رومية العظمى اجتمعوا في كنيسة القديس بطرس او في المعبد البولسي فيقيم اقدمهم في رتبة الكرادلة الذبيحة الطاهرة لالتماس انوار الروح القدس وفي اثر القداس يخطب احد السادة ليحضَّ المنتخبين على ان يتجرّدوا عن كلّ الغايات الشخصيّة ويختاروا امام الله من يعرفونهُ اهلًا لرئاسة الكنيسة وفقًا لرسوم الاحبار الرومانيين. وهذه الخطبة يتلوها عادةً احد مصاقيع الخطباء يتّفق عليهِ الكرادلة في اجتماعاتهم السابقة ويرقى منبرًا عاليًا مزدانًا بمخمل احمر ويخطب باللاتينيّة بعد انحنائهِ امام الكرادلة وان كان الخطيب اسقفًا تردّى بالثياب الحبريّة ولبس الغفّارة وجعل التاج على رأسهِ

وفي نهاية الخطبة يتقدّم احد متولي الرتب ويمسك بيدهِ الصليب البابوي ذا الشُعَب المثلّثة فيمشي امامهُ حاشية الكرادلة الذين تعيّنوا لخدمتهم وتتبعهم جوقة المغنّين وهم ينشدون تسبحة الروح القدس «هلمَّ ايُّها الروح الخالق» ويسير وراء الصليب لفيف الكرادلة في موكب بهيّ وكلٌّ منهم لابسٌ غفّارتهُ وعلى صدرهِ الصليب

الكردينالي الذي يُحجَب عادةً بحضور الحبر الاعظم . فاذا بلغوا المعبد السكستي الذي فيهِ تصير الانتخابات جلس كلٌّ منهم حسب رتبتهِ تحت المظلَّة المعدَّة لهُ . ثم تُتلى على مسامعهم رسوم الاحبار الرومانيين بخصوص هـذا الانتخاب وعلى اثر ذلك يقومون بالترتيب ويقسم كل واحد على الانجيل المقدَّس مستشهدًا الله الذي يدينهُ بانهُ يختار لرئاسة الكنيسة ذاك الذي يعرفهُ اجدر بهذا المنصب الجليل . وفي بعض الاحيان يُتلى القداس صباحاً اماً الموكب ورتبة القسم فيؤجَّلان الى مساء ذلك اليوم

وبعد ذلك يخرج من المعبد السكستي ومن المكان المُعدّ لاقامة الكرادلة كلُّ من ليس لهُ عمل في المجمع اماً لانتخاب واماً لخدمة ثم يسطَم البنَّاؤون كلَّ الابواب بجدران من الحجارة الَّا باب السلَّم الملكيّ فيُقفل باربعة اقفال منها قفلان في الخارج يُقفلان بحضور الشهود واحد عُمَّال البلاط البابويّ وقفلان في الداخل يقفلهما ايضاً بحضور الشهود الكردينال الكمرلنغ . وهذا الباب لا يُفتح الَّا بعد انتخاب البـابا الجديد او عند حضور احد الكرادلة المتأخرين عن الاجتماع او لاسباب أُخرى معلومة تُعرَض على مجموع الآباء فيصوّبونها او يحكمون بابطالها

وبعد ان يُقفل هذا الباب يقوم على حراستهِ نَفرٌ من الجند يتقدَّمهم احد اشراف رومية يُدعى محافظ المجمع لئلَّا ينتهك احد حرمتهُ . وكذلك يدور الكردينال الحكمدار بصحبة ثلاثة من الكرادلة ويزور كلَّ الحجر ليتحقَّق انهُ ليس ثَمَّ غريبٌ وانَّ الاحكام البابويَّة رُوعيت تماماً

ويُصطنع بين المحجوزين والخارج اربعة منـافذ او دواليب كما ترى في اديار الراهبات يُجعل فيها ما يحتاج اليهِ الداخلون من مآكل ولوازم غيرها . ويحرس هذه المنافذ قومٌ ثقات يفحصون كلَّ ما يوضع فيها لئلاَّ ينفذ منهـا مكاتيب وما شاكل ذلك . واذا طلب احد من الخارج كالسُّفراء وغيرهم ان يواجه احـدًا من الكرادلة استدعاهُ الى الدولاب وفاوضهُ بحضور الحرس

وكان أكل الكرادلة يُطبخ سابقاً في مطابخ خارجيَّة فيُرسل الى كل منهم والى حاشيتهِ فيُجعل في الدواليب . وكان غريغوريوس العاشر حتم بان اكلهم يُقتصر على شكل واحد من الاطعمة بعد ثلاثة ايَّام اذا لم يتَّفقوا على انتخاب خلفٍ للبابا المتوفَّى . وبعد ثمانية ايَّام لا يُعطَون الَّا الخبز والماء فقط . وقد حوَّر الباباوات هذا البند قليلاً .

وفي انتخاب المثلث الرحمات البابا لاون الثالث عشر جُعلت المطابخ في داخل سُكنى المنتخبين وكلُّ كردينال يأكل وحدهُ . امَّا الخدم والحاشية فيأكلون في مطعم عموميّ

فترى ممَّا سبق ان الداخلين في دائرة المجمع المقفل قسمان : فئة الكرادلة من ذوي الرتب الثلاث اي الاساقفة والكهنة والشمامسة وهم في المجمع الحالي ٦٥ شخصاً وفئة المساعدين والخدم على اختلاف وظائفهم وهم نحو المئتين منهم اكليريكيُّون ومنهم عالميُّون يتولى امرهم بعض العُمَّال باسم الحكمدار ويديرهم في شؤونهم الدينيَّة احد الكهنة مساعد للوافه (sous-sacriste)

امَّا الكرادلة فيرأسهم الكمرلنغ مع ثلاثة كرادلة آخرين من الرُّتب الثلث . لكنَّ الكمرلنغ لا يتغيَّر بخلاف هؤلاء الكرادلة الذين لا يبقون في مهنتهم الَّا ثلاثة ايَّام فينوب منابهم ثلاثة آخرون بالتوالي مباشرةً باقدمهم في الكردينالية

*

وفي اليوم الاوَّل بعد دخول الكرادلة في مقام الانتخاب المُفرز لهم عند الساعة الثامنة يدعوهم مدبر التشريفات بدقّ الجرس ثلاثًا وهو يقول : سادتي الى المعبد ! فاذا اجتمعوا حضروا قدَّاس اقدم الكرادلة وتناولوا القربان الأقدس من يده . امَّا الأيَّام التالية فيقيم كلٌّ منهم الذبيحة الالهيَّة في الساعة التي توافقهُ إمَّا في المعبد الكبير واما في حجرتهِ الخاصَّة وهم يحضرون مع ذلك قدَّاساً عموميًّا يتلوهُ اسقف الموفه ـ évêque) (sacriste وكان للكرادلة في زمن اجتماعهم لانتخاب البابا ثياب معلومة لا يلبسونها الَّا في هذا الوقت اخصُّها رداء واسع من الصوف بنفسجي اللون على شكل الغفَّارة سابغ الذيل طويل الذنب يُناط بابزيم في اعلى الصدر . ويلبسون الدرع الابيض المطرَّز في اعلاهُ أربةٌ تتثنَّى من العنق الى الاكتاف يدعونها كروشيا (crocea) وقد أبطل استعمال هذه الملابس منذ عهد قريب

امَّا اجتماع الكرادلة لانتخاب البابا فيصير كل يوم صباحَ مساء الى ان يتَّفق المنتخبون على تعيين الحبر الاعظم . فيجتمعون صباحاً عند الساعة العاشرة بعد القدَّاس العموميّ امَّا المساء فعند الساعة الثالثة وذلك في المعبد السكستيّ الذي تزين جدرانهُ النقوشُ البديعة لابرع المصوّرين من جملتها صورة الدينونة العموميّة لميكال انجلو الشهير

ففي صدر هذا المعبد قد نُصب هيكل في اعلاهُ صورة الروح القدس عند حلولهِ على التلاميذ في عليَّة صهيون ويظلل الهيكل مظلَّة من المخمل البنفسجيّ . ويكون العرش البابويّ عادةً منصوبًا على جانب هذا الهيكل الايمن لكنَّـهُ يُرفع ايَّام الانتخاب ويُبدل بكرسيّ عالٍ يُعدُّ للبابا الجديد فيجلس عليهِ موقَّتًا

فاذا قُرع الناقوس توارد الكرادلة يتقدَّم كلاًّ منهم خدمُهُ حاملين مكتبهُ ومحفظتهُ حتى اذا دخلوا المعبد تلا اسقف الموفه الصلوات مبتهلًا الى الروح القدس طالبًا انوارهُ ثم يشير وكيل التشريفات الى الجميع بان يخرجوا فيبقى الكرادلة وحدهم في المعبد ويُقفل المعبد من داخلهِ

ثم يجلس الكرادلة على مقاعد منتظمة على شكل تربيع حول الهيكل وفوق رؤوسهم مظلَّات غير مثبتة تُنزَع عند انتخاب الحبر الجديد . وامام كلّ مقعد منضدة للكتابة مغطَّاة بطنفسة نُسج عليها شعار الكردينال الجالس بقربها . وفي وسط التربيع ستُّ مناضد أُخرى عموميَّة عليها ادوات الكتابة لمن احبَّ ان يعتزل بكتابتهِ عن غيرهِ . وبازاء الهيكل منضدة كبيرة عليها كاس من فضَّة تُجعل فيهِ اوراق الانتخاب وفي احدى الزوايا بورة ومدخنـــة تحرق فيهِ اوراق القرعة . وفي بدء كل جلسةٍ يقترع متقـــدّم الكرادلة الشمامسة على ستَّة اسماء ثلاثة لمن يتولَّون نظارة التصويت (scrutateurs) وثلاثة لمن يتحقَّقون صحَّتهُ (réviseurs)

امَّا طرائق الانتخاب فقد روى منهـــا التاريخ عددًا وافرًا فكانت تجري تارةً بالصوت الحيّ وتارةً بأداء السجـــود والاكرام للمنتخَب وحينًا بان يُفوَّض الى احد الكرادلة بان يصطفي باسم الجمع من يراهُ اجدر بالرئاسة العليـــا وطورًا بالكتابات العلنيَّة . وكل هذه الطرق كادت تبطل اليوم لانَّ حريَّة المنتخبين لا تظهر فيها بالتمام . والغالب في زماننا منذ نحو ثلاثمائة سنة ان يُختار البابا بالاصوات السرّيَّة

وتُتَّخذ لذلك اوراق مطبوعة طولها ٢٠ سنتيمترًا في عرض ١٦ س يُقسم وجهها الداخلي خمسة اقسام فيُكتب على القسم الاعلى : انا الكردينال (فلان) ويُطوى هذا القسم ويُختم بختمين . ويكتب على القسم الاسفل آية كتابيَّة او شعارٌ يَصطلح عليهِ الـكردينال مثلًا « المجد لله في العلى » ويطوى ايضًا ويختم بختمين . وفي القسم الاوسط يكتب اسم المُنتخَب « اني اختار نيافة الكردينال (فلان) كحبر اعظم » ويبقى

هذا القسم الاوسط ظاهرًا والعبارة نفسها تُعاد على الوجه الخارجيّ بين نقشتين احداهما تنطبق على الاسم والاخرى على الشعار

فاذا كُتبت هذه الاوراق وخُتمت قام كلّ كردينال على حسب قدميّته فيتقدّم الى الهيكل ثمّ يُصلّي صلاةً وجيزة راكعًا امام الصليب ثم ينتصب واقفًا ويُعيد القسَم السابق ذكرهُ بانهُ ينتخب امام الله من يراهُ احقّ بالسدّة البطرسيّة ثم يلقي الورقة في الكاس ويعود الى مكانهِ بعد الانحناء امام الصليب. واذا كان احد الكرادلة مريضًا

انا الكردينال (فلان)

ختم ختم

اختار كحبر اعظم نيافة الكردينال (فلان)

ختم ختم

(شعار) المجد لله في العلى (عدد الغرفة) ٥٠

الوجه الداخلي من ورقة الانتخاب

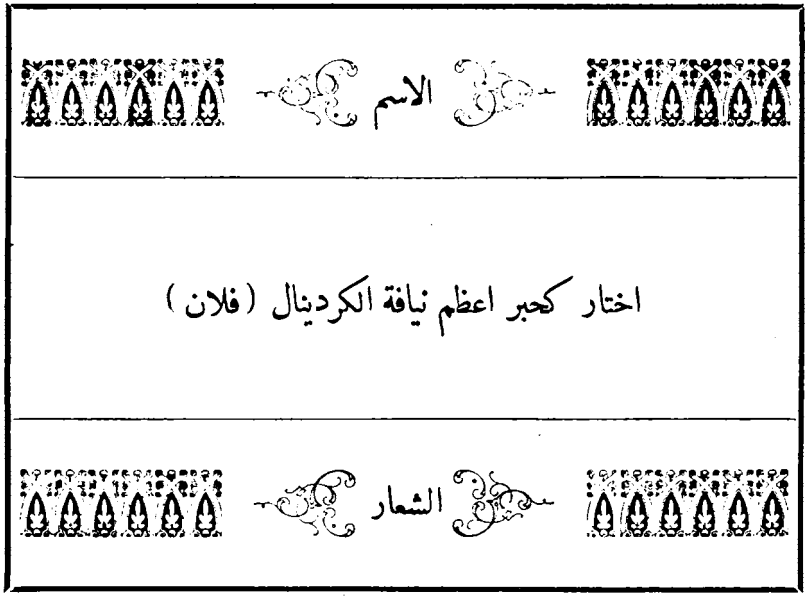

الوجه الخارجي من ورقة الانتخاب

يعيّن المجمع ثلاثة من الكرادلة ليذهبوا الى غرفتهِ ويأخذوا ورقتهُ التي يجعلها في شقّ علبةٍ مقفلة يبقى مفتاحها على الهيكل فاذا عادوا من عند المريض فُتحت العلبة علانيةً وجُعلت ورقة المريض في الكأس الفضيّ

ثم يخلط احدُ الفاحصين الاوراق في بعضها ويعدُّها من بعدهِ فاحصٌ آخر فيجعلها في كاسٍ فارغ فاذا نقص عددها عن اصحاب الاصوات بطل الانتخاب وأُحرقت في بورة المَوْقدة. واذا طابقت الاوراق عدد المصوّتين قرئت اسماء المُنتَخَبين وعُدَّت الاصوات التي اصابها كلٌّ منهم. فان حصل احدهم على الثُّلثين فهو الحبر الاعظم والّا أُعيد الانتخاب ثانيةً لعلّ بعض الكرادلة اذ يرون انّ الذي انتخبوهُ لا امل لهُ في الجلوس على العرش البابويّ ينقلون قرعتهم الى غيرهِ ممَّن اصابوا عدداً اوفر من الاصوات وبذلك تحقُّ البابويّة لاحدهم. واذا كان هذا التصويت الثاني لم يأتِ بنتيجة ارفضَّ المجلس وتأجّل الانتخاب الى المساء. واوراق الانتخاب تُقرأ واحدةً واحدةً ثم تُنظم بمسلّة في سلكٍ من الحرير دون ان تُفتح او يُعرف اسم كاتبها اللهمّ الّا لداعٍ واحدٍ وذلك

اذا نال احد الكرادلة ثلثي الاصوات تماماً فتُفتح الاوراق ليتحقق الفاحصون انَّ الكردينال المرشَّح البابويَّة لم يخصَّ نفسهُ بصوتهِ فاذا كان ذلك بطل الانتخاب

وما وصفناهُ آنفاً يُكرَّر كلَّ يوم صباحَ مساء حتى تتمّ شروط الانتخاب وينال احد الكرادلة ثلثي الاصوات . قلنا « احد الكرادلة » وهو الامر الجاري عادةً انَّ يكون المرشَّح البابويَّة من سلك الكرادلة . وليس هذا حتماً اذ لم تُسَنّ في ذلك شريعة ثابتة . وفي القرون السابقة وقع الانتخاب لرئاسة الكنيسة الرومانيَّة على غير الكرادلة وقد نال في هذه الاجيال الاخيرة بعض مشاهير الرجال غير الكرادلة اصواتاً للبابويَّة كالقديس فرنسيس برجيا والاب لَيْنُس اليسوعيَّين وغيرهما . وكذلك يُمكن ان يرشَّح للسُدَّة البطرسيَّة رجال من كل الامم الكاثوليكيَّة على اختلاف اجناسها . وفي سلسلة الباباوات عدّة احبار شرقيّين اشتهروا بفضلهم وحسن سياستهم

*

واذا انتهى الانتخاب بنتيجة مُرْضية ونال المنتخب الاصوات اللازمة أُحرقت اوراق التصويت دون تبنٍ فيُرى لنارها شعلة بلا دخان فيستدلُّ الواقفون في ساحة القديس بطرس ان الانتخاب قد تمَّ ويُفتح باب المعبد السكستيّ

فحينئذٍ يتقدَّم شيخ الكرادلة مع صاحب التشريفات والثلاثة الكرادلة الموكول اليهم في ذلك اليوم ترتيب المجمع فيطلبون من المنتخب بصوتٍ جهور : « أترضى بانتخابك القانوني لرتبة عظيم الاحبار » . فان لم يرضَ انتخب الكرادلةُ غيره على الطريقة نفسها . وان كان جوابهُ موجباً اعان صاحب التشريفات برضاهُ للفيف الكرادلة المجتمعين . فللحال يحيد عنهُ الكردينالان الجالسان على يمينهِ ويسارهِ اجلالاً لرتبتهِ الجليلة وتُنزع كلُّ المظلاَّت الّا مظلَّتهُ وحدهُ إشعاراً بمقامهِ . ثم يسألهُ كبير الكرادلة ثانيةً : وباي اسمٍ تُريد ان تُدعى ؟ (١) . فبعد جوابهِ يُعلن باسمهِ جهاراً . وللحال يكتب كاتب الكرسيّ الرسوليّ قراراً في ما جرى . وفي اثناء ذلك يقود كردينالان من رتبة الشمامسة المنتخَب الى الهيكل وبعد نزعهِ ملابس الكرادلة يُردَّى

(١) لم يبدل الباباوات الى القرن العاشر اسمهم عند انتخابهم لرعاية الكنيسة . واوَّل من فعل ذلك البابا يوحنَّا الثاني عشر سنة ٩٥٦ وكان اسمهُ سابقاً بطرس فغير اسمهُ تواضعاً لئلَّا يوافق اسمهُ اسم هامة الرسل . ثم جرت عادة تغيير الاسم من ذلك العهد

بالثياب الحبريَّة التي وصفناها في بعض اعداد المشرق من سنتهِ الجارية (ص ١٩٧) ويجلس على كرسيّ بازاء المذبح وجههُ الى الحضور. فيتقدَّم اليهِ كلُّ الكرادلة ويجثون امامهُ ويلثمون يدهُ ثم يقبّلهم بقُبلة السلام. وفي اثر ذلك يقدّم الكردينال الكمرلنغ للحبر الجديد خاتم الصيَّاد فيجعلهُ في اصبعهِ لكنَّهُ بعد التختُّم بهِ يردُّهُ لهُ ليحفر عليهِ اسمهُ. وفي جلستهِ هذه الاولى يثبّت الكمرلنغ في رتبتهِ او يعيّن غيرهُ وكذلك يختار بعض الكرادلة لمهامّ الامور كوزير الدولة وكاتب الاسرار اذا اضطرَّت الاحوال الى تعجيل ذلك

وفي اليوم عينهِ يُعلَن رسميًّا بانتخاب الحبر الاعظم. وذلك انَّ البنَّائين يسرعون الى فتح النوافذ المسطومة وتُفتح الابواب فيسير اقدم الكرادلة من رتبة الشمامسة وامامهُ الصليب البـابويّ فيخرج الى شُرفة فوق كنيسة القديس بطرس تُطِلّ على الساحة الكبرى فيخبر الشعب بالانتخاب قائلًا: « اني ابشركم بفرح عظيم فانَّ حبرنا الجديد هو نيافة الكردينال (فلان) وقد دُعي باسم (كذا) » ويلقي من الشرفة ورقةً تتضمَّن هذه البشرى فترى ألوفًا من الايدي تتسارع اليها لتلتقفها فينتشر الخبر في المدينة انتشار البرق. وللحال تدقُّ نواقيس كنيسة القديس بطرس فتجيبها نواقيس المدينة كلّها

ولمَّا كانت رومية في ملك الباباوات كانت تُطلق المدافع من قلعة « سنت انجلو » وتُدَقُّ الطبول وينفر النفير. ولا يلبث امام الاحبار ان يظهر امام الجمهور ليزوّدهُ بباكورة بركاتهِ. وهذه البركة تُمنح لرومية وللعالم المسيحي باجمعهِ (Urbi et Orbi) وكان البابا يمنحهـا سابقًا من طنف خارجيّ (loggia) يُشرف على ساحة مار بطرس وهو فوق رتاج الكنيسة الكبير ولهُ منفذ مطلّ على الكنيسة من داخلها. فالبابا المتوفَّى منح بركتهُ من الجهة الداخليَّة للجمهور المجتمع في الكنيسـة ولم يظهر في الطَّنَف الخارجيّ. وكان الحضور نيّفًا وخمسين الفًا جثوا امام الاب الأقدس فتيمَّنوا بطلعتـهِ المنيرة وببركتهِ الحبريَّة. ومثلهُ فعل بيُوس العاشر آخرًا

وفي غد اليوم التالي تصير حفلات غاية في العظمة والأُبهـة. فانَّ الحبر الاعظم يستولي على القصر الواتيكاني وعلى كنيسة مار بطرس دلالةً على سُلطتَيهِ الروحيَّة والزمنيَّة وكان سابقًا يُعقَد لذلك موكبٌ بهيٌّ يسير من قصر الكويرينال الى بلاط الواتيكان فتظهر البابويَّة في كل رونقها وعزّها. وكان يركب في عَجَلةٍ ملكيَّة بديعة تجرُّها الخيل

المطهَّمة وكان يتقدَّمهُ الكرادلة كل منهم في مركبتهِ لابسين درع الحرير الاحمر والبُرْدة الارجوانيَّة السابغة الحشَاة بالقاقم. واذا بلغوا الواتيكان ألبسوا الحبر الاعظم في احدى ردهاتهِ السُّفلى ملابسهُ الحبريَّة ثم قادوهُ الى المعبد السكستيّ فبعد صلاة وجيزة كان يجلس على سواء المذبح فيتقدَّم اليهِ كل الكرادلة ويقبِّلون قدمهُ ويدهُ اليمنى. وكذلك كان يأتي والي رومية ويضع بين يدي البابا صولجانهُ وعلامة سلطتهِ فيردّها البابا اليهِ او يقلّدهُ رتبةً أخرى. وكذا كان يفعل عُمَّال رومية وقُضاتها. ثم كان يُحمل الاب الأقدس في محفَّتهِ (sedia gestatoria) فيقاد برونق عظيم من المعبد السكستيّ الى كنيسة القديس بطرس يتقدَّمهُ الصليب البابوي ثم فئة الكرادلة وجمهور الاشراف. وكان يمشي بين يديهِ حاجبان يحملان مراوح من ريش الطاووس والجميع يترنَّمون بالتسبحة التي بدؤها: « هوذا الكاهن العظيم ». واذا وصل الحبر الاعظم الى باب الكنيسة كان يأتيهِ قانونيُّو كنيسة مار بطرس فيسلمونهُ مفاتيحها ايذانًا بسلطتهِ عليها ثم يدخل الموكب في سوق الكنيسة الاوسط وجوق المغنّين يرتل آية الانجيل: « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة ابني كنيستي الخ ». وعند بلوغ الموكب معبد القربان الأقدس كان ينزل الاب الأقدس فيُصلّي مدَّةً ثم يُحمل الى المذبح المقام فوق ضريح القديس بطرس وبعد الصلاة يجلس على المذبح فيقدّم لهُ ثانية جميع الكرادلة الاكرام بتقبيل قدمهِ ويدهِ فيعانقهم الحبر الأعظم معانقة الاب المحبّ ثم تُتلى تسبحة الشكر ويمنح ابُ المؤمنين بركتهُ لجميع الحضور بالصليب البابويّ

واغلب هذه الرتب تتمُّ اليوم في المجمع السكستيّ داخل الواتيكان منذ دخول الايطاليين في رومية

وفي اليوم عينهِ يعقد الحبر الاعظم مجلسًا لسفراء الدول في صاعة من صاعات الواتيكان فيهنئون قداستهُ باسم حكومتهم وذلك بعد ان يكون بلّغهم كاتب الدولة البابويَّة خبر ارتقاء الحبر الاعظم الجديد. والبابا نفسهُ يُعلم رسميًّا بترقيتهِ الملوك ورؤساء الجمهوريَّات ويكتب لهم بيدهِ

واعلم انَّ للحبر الروماني ملء السلطة في الكنيسة منذ ساعة انتخابهِ سواء كان حاصلًا على الدرجة الاسقفيَّة او لا. واذا كان عند انتخابهِ للسُّدَّة البطرسيَّة كاهنًا فقط فتُقام لهُ حفلةٌ حافلة يُرقّى بها الى منصب الاساقفة. وهذا الامر كان شائعًا في انتخابات

القرون الاولى. وهو اليوم نادرٌ لانَّ الاختيار يقع حاضرًا على احد الكرادلة والكرادلة في الغالب اساقفة ولو كانوا من رتبة الكهنة كالبابا الجديد بيوس العاشر او من رتبة الشمامسة لانَّ هذه الرتب شرفيَّة لا تدلُّ على كون الكردينال كاهنًا او شماسًا فقط. وآخر بابا انتُخب وهو كاهن غريغوريوس السادس عشر سنة ١٨٣١

وعلى كل حال ان كان البابا المُنتخَب كاهنًا فلا بُدَّ من تكريسهِ اسقفًا ويتمُّ ذلك على يد رئيس اساقفة مدينة اوستيا على مألوف عادة قديمة جدًّا شهد عليها القديس اوغسطينوس منذ السنة ٤١١ في كتاب مجادلاتهِ مع الدوناتيين. ويكون تكريس البابا اسقفًا كتكريس غيرهِ من الاساقفة مع مراعاة بعض الامور التي تشير الى سموّ مقامهِ وعظم سلطتهِ والتي يطول هنا شرحها . وكذلك اذا كان البابا المنتخب شماسًا فقط فينبغي ان يقبل تكريس الكهنوت ثم الاسقفيَّة وهكذا جرى للاون العاشر البابا الشهير فانهُ لمَّا انتُخب كان شمَّاسًا فكُهِّن وسُقِّف بعد أيَّام. هذا ملخَّصٌ جمعنا فيهِ ما يستحبُّ القرَّاء معرفتهُ عند انتخاب الباباوات وتنصيبهم. ويبقى التتويج ولهُ حفلة خاصَّة يقيمها الاحبار الرومانيُّون بعد انتخابهم بمدَّةٍ

تتويج الاحبار الرومانيين

(لهُ)

افدنا القرَّاء في المقالتين السابقتين عن العادات الجارية في عاصمة الكثلكة عند وفاة الحبر الرومانيّ وعند انتخاب خلفهِ. بيد انَّ لهذه الرتب الجليلة خاتمةً بهيَّة لا تولي البابا الجديد سلطةً او تمنحهُ رتبة لكنَّها تزيدهُ في اعين الشعوب رفعةً وتكسبهُ اعتبارًا نزيد تتويج الحبر الاعظم

*

واعلم ان هذه حفلة التتويج لا يرتقي عهدها الى ما وراء القرن الثامن. واوَّل مرَّة ورد ذكر التتويج في التاريخ انَّما كان على عهد البابا لاون الثالث سنة ٧٩٥ وذلك ان ملوك فرنسة كانوا اوقفوا على الكرسي الرسولي املاكًا متَّسعة ومدنًا عامرة